أفق التوقع المتوقع وغير المتوقع في منصفة المُفَضّل النّكْرِيّ

رعد ماموك حسين / جامعة ديالى / قسم اللغة العربية / الادب

الأستاذ الدكتور لؤي صيهود فواز التميمي / جامعة ديالى / قسم اللغة العربية / الأدب

The expected and unexpected expectation horizon in Mansifah Al-Mufaddal Al-Nukri

Supervisor

Professor Dr. Louay Sayhoud Fawaz Al-Tamimi / University of Diyala / Department of Arabic Language / Literature

Email: luay.ar.hum@uodiyala.edu.iq

Phone number: 07703975169

By

Raad Mamouk Hussein / University of Diyala / Department of Arabic Language / Literature

Email: raad.alzaharey202300@gmail.com

Phone number: 07707846241

رقم الهاتف : ٠٧٧٠٧٨٤٦٢٤١

رقم الهاتف : ٠٧٧٠٣٩٧٥١٦٩

Abstract:

The concept of the expected and unexpected horizon of expectation is one of the most prominent concepts that some studies have focused on، including the theory of reading and receiving. This theory holds that some texts come compliant and responsive to the recipient's mentality and preparations and to what is compatible with his intellectual and psychological climate، and this agreement is called the term (the expected horizon of expectation). While some works differ from the standards that the recipient holds and contemplates in the text، and this in itself refers the recipient to a revolution of change and a new reading of the text in which he builds new expectations for the text and a pattern different from what was expected in his mind، and this context، according to this mechanism in reading texts، is called the term (unexpected horizon of expectation). Expected)، and this is what will be highlighted in this research in Mansifah Al-Mufaddal Al-Nakri، where some of its verses were consistent and appropriate to what the recipient is accustomed to seeing in these texts، while other verses were contrary to the reader's expectations and what he aspires and aims for. We ask God for success.**Keywords:** expected and unexpected expectation horizon، Munsifah Al-Mufaddal Al-Nakri

الملخص :

يعد مفهوم أفق التوقع المتوقع وغير المتوقع من أبرز المفاهيم التي أهتمت بها بعض الدراســـات ومن بينها نظرية القراءة والتلقي إذ تذهب هذهِ النظرية إلى أنَّ بعض النصوص تأتي مطاوعةً ومتجاوبةً مع ذهنية المتلقي واستعداداته ومع ما يتلاءم من مناخه الفكري والنفسي وهذا التوافق يســـمى بمصـــطلح (أفق التوقع المتوقع) بينما تأتي بعض الاعمال مفارقة للمعايير التي يحملها المتلقي ويتأملها في النص وهذا بذاته يُحيل المتلقي الى ثورةً من التغيير وقراءة جديدة للنص يبني فيها توقعات جديدة للنص ونمطاً مغايراً لما كان متوقعاً في ذهنهِ وهذا الســـياق وفق هذهِ الآلية في قراءة النصوص يسمى بمصطلح (أفق التوقع غير المتوقع), وهذا ما سيسلط الضوء عليه في هذا البحث في منصفة المُفَضَّل النُكْرِيّ إذ جاءت بعض أبياتها منسـجمةٌ وملائمةٌ لما أعتاد أن يراه المتلقي في مثل هذه النصـوص بينما جاءتْ أبيات أخرى مغايرة لتوقعات القارئ وما يصبو ويهدف إليه نسأل الله التوفيق**الكلمات المفتاحية : أفق التوقع المتوقع وغير المتوقع , منصفة المُفَضَّل النُكْرِيّ**

وذكرت هذه القصـيدة في ثلاثة مصـادر رئيسـة هي (الاصـمعيات واحصـى الاصـمعي أبياتها في (٣٩) بيت وكذلك في كتاب الاشـباه والنظائر للخالديان وكان في (١٨) بيتاً وساقها البحتري في حماستهِ في (١٣) بيتاً بينما أكتفت بعض المصادر بذكر بيتاً أو بيتين منها[١].

أَلم تَرَ أَن جيرَتنا اِستَقَلّـــــوا	فَنَيْتنا وَنَيْتُهم فَريـــــــق
فَدمعي لؤلؤ سِلْس عـــــــراه	يخَر على المهاوي ما يَليـق
عَدت ما رُمت إذ شَحَطت سُليمى	وَأَنت لِذِكرها طِرْب مَشـــوق
فَوَدعها وَإن كانت أنـــــأة	مَبَتَلَـــة لـــها خَـلْق أَنيـــق
تَلَهي المَرءِ بالحدثان لَهـــوًا	وَتجدُجه كما جـــدَج المطيق
مَشينا شطرهم وَمَشوا إلينـــا	وُقلنا اليوم ما تُقضى الحقـوق
فداء خالتي لَبني حَيّـــــي	خصوصًا يوم كُس القوم روق
هُم صَبروا وَصبرُهم تليـــد	على العَزاءِ إذ بَلَغ المضيـــق
وُهم دَفعوا المنيّة فاستقلـــت	دراكًا بعد ما كادت تحيـــق
تالقينا بغَيبة ذي طَريـــف	وَبعضُهم علـى بعض حنيـق
رَمينا في وُجوهِهُم برشـــق	تَغـص به الحناجُر والحلـوق
وَبسّل أن ترى فيهم كميّـــا	كبا لَيديه إآل فيـــه فـوق
قليلٌ ما ترى فيهـــــم كمياً	كبا لديه إلاَّ فيهِ فـــــوقُ
وجدنا السدر خوّاراً ضعيفـــا	وكان النبع منبتهُ وثيـــقُ
كَأَنَّ هَزيزَنا يَومَ التَقَينـــا	هَزيزُ أباءَةٍ فيها حَريـــقُ
بكلّ قَرارَةٍ مِنّا ومِنـهـــمْ	بَنان فتىً وجُمْجُمَة فَليـــقُ
وَكَم مِن سَيّدٍ مِنّا ومِنهُـــم	بِذي الطّرفاءِ مَنطِقُهُ شَهيـــقُ
أَشبَعنا السِباعَ وَأَشبَعوهـــا	فَراحَت كُلّها تَنِقٌ يَفـــوقُ
يَهزِهُز صَعدَةً جرداء فيهـــا	سنأن الموت أو قَرْن مَحيُـــق
وقد قتلوا به غلامـــــاً	كريماً لم تأشبه العـــروقُ
قَتَلنا الحارِثَ الوَضّاحَ مِنهُـــم	فَخَرَّ كَأَنَّ لِمَّتَهُ العُـــذوقُ
تَعاوَرَهُ رِماحُ بَني لكَيـــزٍ	فخَرَّ كأنّهُ سَيْفٌ دَلـــــوق
تَرَكْنَا الغُرْجَ عاكِفَةً عليهِـــمْ	وللغِرْبَانِ مِنْ شِبَعٍ نَغِيـــقُ

فأبكينا نساءهم وابكـــــــــوا نساء سيوغ لهن ريـــــــق[٢]

أفق التوقع المتوقعشكلت الابيات الخمسة الأولى في مقدمة القصيدة ما كان معتاد في الوقوف على الاطلال وابتدأ القصيدة بإستفهام وهو يتحدث عن علاقته مع جيرانه .

أَلم تَرَ أَن جيرَتنا اِستَقَلّـــــــوا فَنَيْتنا وَنَيْتُهم فَريـــــــــق
فَدمعي لؤلؤ سِلْس عـــــــــراه يخِرّ على المَهاوي ما يَليـــق
عَدت ما رُمتَ إِذ شَحَطت سُليمى وَأَنتَ لِذِكرِها طَرِب مَشـــوق
فَوَدعها وَإِن كانت أَنـــــــأَة مَبَتَّلَـــة لَـــها خُـلُق أَنيـــق
تَلَهّي المَرءَ بِالحدثانِ لَهـــــوًا وَتحدُجُه كما حُـــدَج المُطيق[٣]

كان هذا المطلع توارد عليه الشعراء والشاعر سار بذات المتعارف مبيناً أنه ((لقد رحل احبائنا وجيراننا ورحلنا وكل ويمضي في طريق)) [٤] , وظف الشاعر في هذا الاستفهام وحمل فيه تعجبا وانكارا وتألما كل هذا الاسلوب كشف فيه مأساة رحيل هؤلاء الجيرة[٥]ثمَّ استخدم اسلوباً يتمثل فيه ((حوار داخليا بينه وبين نفسه يعمد فيه الى تقريرها بأن هؤلاء الجيرة هم الذين بدأوا بالجفوة والانشقاق)) [٦] وفي لوحة المقدمة صاغ الشاعر . لوعة حزنه والحنين الى جيرانه ((قوم سليمى الذين رحلوا عنه وخلوه لأحزانه واشواقه فدمعه يجري فلا ينقطع وقلبه مشوق الى ذكراها)) [٧] كل هذه المقدمة جاءت منسجمة مع افق التوقع المتوقع ((فالوقوف على الاطلال من الاعراف والتقاليد المتوارثة ومن ثم فهو يقضي الى توافق الافاق)) [٨], ثم استدعى الشاعر لوحة الحزن متمثلة بالبكاء إذ يقول :

فدمعي لؤلؤ سلسٌ غُراهُ يخِرُّ على المهاوي ما يَليقُ[٩]

وهذا الاســـتدعاء بحد ذاته كان من لوازم القصـــيدة الجاهلية وذلك لتعريج على بيان لواعج فرق الاحبة وهذا ما اشـــار اليه ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) إذ ((ان مقصد القصيدة انما تبدأ بذكر الديار الدمن والاثار فبكى وشكاً وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليحصل ذلك سبباً لذكر اهلها الضـــاعنين عنها)) [١٠] , وهذا منســجم مع أفق التوقع إذ أنَّ البكاء ظل يرافق القصـــيدة , لذلك راح المُفَضَّـــل النُكْرِيّ يصـــف بكائه في تســـاقط دموعه في عدة امكنة وانها لا تبرح ان تجف فهي مثل لؤلؤ عند ينثر وهي مثل طوق يحمل حبات القلادة [١١], ولم يتوقف الشـــاعر عند ذلك فعلى الرغم من ذلك البكاء الا أنه يحن الى سلمى:

عَدَتْ مَا رُمْتَ إِذْ شَحطَتْ سُلَيْمَى وأَنْتَ لِذِكْرِهَا طَرِبٌ مَشُوقُ [١٢]

وتراه يكشف عن شوقه اليها في حوار وظفه في البيت مفاده أنه ((لقد تجاوزت سلمى ما كنت تطليه منها وتبقيه وهجرتك وانت ما تزال تحت لقائها وتشتاق ديارها))[١٣], وتبدو لغة حوار مع الذات جلية في هذا البيت , ويرى الباحث انه شاعر اراد أن يبرز كل الصفات الحسنة في سلمى قبل الخروج من المستهل في القصيدة ومن ذلك في وصف الجانب روحي عندها يقول :

تُلَهِّي المرءَ بالحُدْثَانِ لَهْوًا وتَحْدِجُهُ كمَا حُدِجَ المُطِيقُ[١٤]

اي انه تلقيه بحديثها وتستهويه فتراه منقاد لها وكأنها طوقته بطوقاً لا يمكن الفرار منهُ [١٥] , وفي ابيات المقدمة لهذه القصيدة لا يجد المتلقي كسراً على معتادة عليه اسماعه وتلقيه للقصيدة العربية , واما في دراسة هذه الابيات :

فداءٌ خالَتي لِبَني حُبَيّـــــــــي خصوصًا يَومَ كُسِ القَومِ رُوق
هُم صَبَروا وَصبُرُهم تليـــــــد على الَعَزّاءِ إِذ بَلَغ المَضيـــق
وُهم دَفَعوا المَنِيّةَ فَاِستَقَلّـــت دراكًا بَعد ما كادت تَحيـــــق

يجد الباحث ان غرض الفخر بأن بوضوح ولم تولد هذه الابيات دهشة يمكن ان يتفاجى بها المتلقي كون هذه الديباجة من فخر الشعراء بقومهم متعارف في العصر الجاهلي ويرى الباحث انه هذه الابيات لازمة غايتان أساسيتين هي ((للشعر مهمة وهي التعبير عن الجماعة))[١٦]وكذلك مهمة الشاعر ((حيث وكل اليه القيادة المعنوية لقومة وبمقدار ما كان لهذه المهمة من جلال وخطر))[١٧], فقد سطرت هذه الابيات ما كان للشاعر من مهمة وهي تسجيل مفاخر قومه وهذا نبض يتدفق عند الشاعر الجاهلي مع كينونة مستقرة من حب لقبيلته شعور الانتماء اليها وهذا متوارد كثيراً في لسان الشاعر الجاهلي ومن ذلك قول دريد بن الصمة , وهو يشير الى أنه من غزيه وهي قبيلة الشاعر وغزيه أحد اجداده وهو يبين أن هدايته وارشاده لم يكن بقيد ارادته بل هو بقيد وأمر قبيلته [١٨]:

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ [١٩]

ولا يسع المقام في الاستطراد بهذا المعنى وقد استفاض كثيراً في الأثر الجاهلي بشعره ونثره وهذا كله نتاج شعور الانتماء الجماعي للقبيلة وذوبان الذات في حب القبيلة [٢٠] ، و أختار الشاعر هذه الصورة وهو يفدي خالته بأهلهِ من ذويه من بني لكيز وخصوصاً في المعركة عند (الكَسُ) وهو القصير من الاسنان والروق الطويل من الاسنان [٢١] , مستعملاً أسلوب من أساليب الكناية إذ انهم بعد ان كانت اسنانهم في النزال ((قصاراً فتقلصت شاهم بعد الموت عن اسنانهم فبدت طوالاً))[٢٢] ويرى الباحث رأي آخر هو ان تقليص الشفاه كانت طبيعة تصاحب الفارس عند النزال مما جاء في هذا الباب من الشواهد الكثير ومنها ما أوصى به الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ابنه ابن الحنفية في الاستعداد للنزال ((تزول الجبال ولا تزل , عض على ناجذك)) [٢٣], وتقودنا هذه الوصايا من كلام سيد البلغاء الامام علي بن ابي صالب(عليه السلام) الى اساسيات وركائز في القتال غايتها ((اذا عضَ الرجل على اسنانه أشدت أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصى به عند الشدة ليقوى))[٢٤] , وقول عنترة [٢٥] :

ولقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمّي بِالضُّحَى إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ [٢٦]

وفي اشارةً لشجاعتهِ وهذا متعارف عند العرب (في الحرب كثيراً ترتفع الشفتهِ من الاسنان حتى كأنها يبتسم[٢٧], ومن ثم يستطرد الشاعر في وصف بني لكيز ومدى صبرهم في القتال وانه عرفوا به ((وكان صبرهم قديماً في كل نازلة وشدة تبلغ فيها النفوس الحناجر وهم ردواً عنا منايانا فولَّت عنا وقد كادت تحل بنا))[٢٨], ثم قال الشاعر مستطرداً :

تَلاقيْنَا بِسَبْسَبٍ ذِيْ طَرِيْفِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حنيْقُ [٢٩]

لم تخرج فحوى هذا البيت في دراسته عن افق التوقع المتوقع كونه يصور حال الخصوم بما تحمله من حقد وضغينه على الآخر ان في صياغة هذا البيت ونظائره في القصيدة يبدوا سرد الشاعر وكأنه عدسة لاقطة ترصد الأحداث اولاً وهو متمسك تمسك كبيراً بعين الإنصاف التي لا ترغب في أن تزوغ عن الحق إيماناً منها بضرورة الحيادية واعطاء كل حق حقه تم ترى الشاعر يصور المعركة وبعد أن بدأت ((قبيلة الشاعر بالسهام التي وجهتها إلى الحناجر والحلوق من الأعداء وكأن النبل جرداً منتشرة في أرجاء المعركة يصيبهم وكأن عوامل الطبيعة ساعدت في ذلك وظاهرت عليه)) [٣٠], وأفصح عن ذلك بما نراه يقول :

رَمَينا في وُجوهِهِمُ بِرِشقٍ تَغَصُّ بِهِ الحَناجِرُ وَالحُلوقُ [٣١]

وتستمر تظافر تلك البيانات التي يصّدرها الشاعر من أرض المعركة وهي في رؤية الباحث لا تحقق شيء من الدهشة أو تكسر أفق التوقع المتوقع عند المتلقي كونها غير مبتعدة ما يصور دائماً عن حال الخصم في الواقع اليومي وهو المهزوم في المعركة وهو المتحير في اتخاذ قرارات آنية تحسم المعركة لصالحه بعد أن جاءته رشق السهام والنبال وأنه ليس ((للأعداء فاعلية تذكر بخلاف قوم الشاعر فهم الفاعلون المبادرون المسيطرون على مجريات المعركة))[٣٢]فقد كانت الكفة لصالحنا بعد ان ((رميناهم رمياً تغص به حناجرهم وحلوقهم))[٣٣] ، اما النبل فكأنه جراد تقليه ريح شامية عاتية هذا كله ينسجم مع أفق التوقع المتوقع وتتعالق صورة الجراد مع صورة رسمها القرآن الكريم في مقام الحساب في قوله تعالى (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ) **سورة القمر , الآية (٧)**, وهذا يكشف جلياً عن مقدرة استوى فيها الشاعر على اختيار صورة تجذب المتلقي وترسم في مخيلته حال العدو وكيف كان انهزامه وارتباكه امام نبال الخصم الذي لا يجد عنها محيصاً ثم لم تدع تلك السهام والنبال فارساً فيهم إلا وهو واقع على وجه[٣٤]، ولذا انحنى الشاعر قائلاً :

قليلٌ ما ترى فيهم كميّاً ... كبا لديه إلاَّ فيهِ فوقُ [٣٥]

ولو تأملنا بدقة صورة الشاعر في كيفية اختيار سلاحهُ ليكون قادراً على سفك دماء الخصم فإنه لم يكن في السدر كونه هذا النبت ضعيف كما يوضح المفضل :

وجدنا السدر خوّاراً ضعيفا وكان النبع منبتِهُ وثيقُ [٣٦]

ولذلك يبين الشاعر اختيار سلاحه مبيناً للمتلقي في ((انا نصنع إسهامنا وأقواسنا من النبع وقد وجدناه شديداً قوياً تركنا صنعها من السدر الضعيف الخوار)[٣٧]يسترسم الشاعر في قصيدته ليذكر لنا موضوعاً آخر أنه طعام الحيوانات فليست السباع فقط كانت جثث القتلى طعامها بل كذلك حيوانات أخرى كالعرج وهي الضباع وكذلك الطيور كالغراب وهي تعكف على الأجساد :

تَرَكْنَا العُرْجَ عاكِفَةً عليهِمْ وللغِرْبَانِ مِنْ شِبَعٍ نَغِيقُ [٣٨]

ان هذا الاسترسال في مصير الجثث يرسم للمتلقي صيرورة القتلى وهو ان تكون الجثث ((نهباً للسباع والضباع والطيور من آكلات الجيف ذلك المصير الذي يتفق مع فلسفة الشاعر الجاهلي لما بعد الموت))[٣٩], وهذا المبدأ كان متصوراً في ذهنية الانسان في عصر الجاهلي حيث

كانوا يعتقدون ((ان الانسان بموته يصير الى عدم فلم يكون يتصور وجوده ولا حياته بعد الموت وكان ينظر الى الحياة من حوله فيجدها صورة من الفناء في كل شيء)) كذلك لازمة هذه الصور ابرز قصائد ذلك العصر ((وكثيراً ما صور الشعراء حالهم بعد الموت والحيوانات تعبث بأجسادهم)) [٤٠], وفي هذا البيت قراءة أخرى تجذب المتلقي واضعة إياه الى مدى الدقة التي وضعها الشاعر في هذه القصيدة ان السباع آكلت لحوم كلا الطرفين وهذا الذي ((دفع النقاد والشراح الى الحكم بأنصافة لأنه كما قالوا أثبت اشباع السباع لقومه وللأعدائه)) [٤١].

أفق التوقع الغير متوقع :يكسر الشاعر في هذه الأبيات أفق التوقع فتراه يصور المعركة بأسلوب يقترب اقتراباً شديداً عما نلفه الان ونراه في وسائل الإعلام من مخرجٍ أو مراسلٍ ينقلان لك الحدث بكل حيادية وأنصاف فالشاعر يضع المتلقي أمام العدو وهو غير منهزم, لم يغادر الشاعر من أن يشاطر بين قومه والعدو كل موقف في المعركة وهو يتحرى ادق صور الإنصاف ففي الغالب في المعارك عندما يتلاقى طرفين في نزاع قد تضطر أحد أطراف النزاع إلى الانسحاب أو اتخاذ اسلوب معين غير المواجهة في سبيل أن لا يلاقي الطرف الآخر في الحرب بينما نجد أن الشاعر يشير إلى بسالة العدو وتقدمهم للقتال غير متخذين سبيل أو يكسب الحرب سلمياً لفض النزاع إذ يقول:

مَشَيْنَا شَطْرَهُمْ ومَشَوْا إلينا وقُلنَا اليومَ ما تُقْضَى الحُقُوقُ [٤٢]

وهنا يكشف الشاعر عن أول صورة من صور بداية المعركة إذ يبين في أننا ((سرنا اليهم وساروا إلينا وكلانا يقول : اليوم نقضي حقوقنا وننال ثاراتنا [٤٣]ثم يصور ان أصوات المعركة لا يوجد فيها صوت يعلو على صوت اخر فكلا الطرفين يخوض المعركة بكل شجاعة وكلاهما أصواتهما مرتفعة وهذه كنايةً عن شدة النزال بين الطرفين وبدأ واضحاً من أصوات المحاربين [٤٤] في قول الشاعر :

كَأَنَّ هَزِيزَنا يَومَ التَقَينا هَزِيزُ أَباءَةٍ فيها حَرِيقُ [٤٥]

ويرى الباحث ان الشاعر في كل هذا الوصف الدقيق في المعركة انما أراد ان يضع المتلقي لقصيدته في استثارة يهدف من خلالها الى جذب المتلقي الى معرفة قوة العدو تارة وتارة أخرى يضعه امام الوصف الدقيق للمعركة من ذلك خلال قصيدته بدأ بها الاقتراب في السرد القصصي والبلوغ بالمتلقي الى ان يعرف كل تفاصيل المعركة قبيل اشتعال فتيل الحرب الى هلاك الطرفين من شدة النزال ثم يتوالى ذلك البيان الذي نسمعه شعراً ثم نتأمله صورة في اذهاننا وكأننا نرى تصوير مرئي لتلك الحرب ويضعنا الشاعر في صلب المعركة وفي تصويراً القتلى من قومه وعدوهم في قرارة الأرض وهو مطمئن منها :

بكلِّ قَرارَةٍ مِنَّا ومِنْهمْ بَنان فَتىً وجُمْجُمَةٌ فَلِيقُ [٤٦]

ففي كل بقعه في أماكن المعركة نجد بناناً ايدي مقطعة او جمجمة قد فلقت لكلا الخصمين [٤٧] ثم يرى ان الشاعر ينقلنا الى صورة أخرى هي ان القتلى ليس من الأشخاص العاديين او مهمشين اجتماعياً فهم من علية القوم فيقول :

وَكَم مِن سَيِّدٍ مِنّا ومِنهُم بِذي الطَرفاءِ مَنطِقُهُ شَهيقُ [٤٨]

لقد صور الشاعر في هذا البيت انصافاً آخراً يحسب له حيث ان المعركة بكل جوانبها تلازم الانصاف حتى القتلى ممن كلا الطرفين سادة لهم وزنهم الاجتماعي وفي مكان يعرف بذات ((الطرفاء نجد عدد من ساداتنا وسادتهم يلفظون انفاسهم الأخيرة محدثهم شهيقٌ))[٤٩]وما زال المُفَضَّل النُكْرِيّ يضع المتلقي في أفق غير متوقع انها موازنة منصفه في قصيدته تبلغ ذروتها في ان السباع لم تأكل من قتلى الخصم فحسب بل تأكل في كلا الخصمين وهذا ما أوضح عنه بقوله :

أَشبَعنا السِباعَ وَأَشبَعوها فَراحَت كُلُّها تَئِقٌ يَفوقُ [٥٠]

لم تترك ((السباع من قتلانا وقتلاهم وراحت يكضها الطعام فهي تفوق وتتجشا))[٥١] ويجد الباحث ان هذا الوصف وما سبقه في الابيات بحيل المتلقي الى حقيقة ثابتة لا تقبل الشك هي ان ((الخصوم يضعون في الشعر الجاهلي وصفاً محايداً فيأخذ الصراع ملامح القوى المتعادلة)) [٥٢] , وهذا الذي أفصح عنه الشاعر في كل بيت من ابيات القصيدة وهو يستجمع كل صورة من صور الحرب وبالتالي فأن مثل هذه الصور تضع المتلقي امام قضية ان الحياة في العصر الجاهلي متكتئة على امرين اما السلم واما الحرب وفي الاغلب تعلو لغة الحرب على لغة السلم ولها يكتب الشعر حيث ((ان الحرب هي القيمة – السلطة التي منها تنبثق القصائد كما الفروع من شجرة كبيرة))[٥٣].وصورة أخرى تقرأ في احد أبيات المُفَضَّل النُكْرِيّ نستشفها من البيت وهو يصف موت قتلى العدو بقوله :

يُهز هِزُ صَعدةً جرداء فيها سنان الموت أو قَرنٌ مِحَيقُ [٥٤]

فبينما يفر بعض المحاربين في احتدام الحروب الا أن هؤلاء المحاربون قاتلوا ولم يفكروا في الفرار من المعركة اعطاهم الشاعر صفة منصفة وهو يصفهم مانحاً ((هؤلاء الكماة صورة ماجدة من صور البطولة الخارقة فعلى الرغم من أن الجروح نالت منهم مثالاً فهم لا يفتئون يحاربون

فلن تلن قناتهم أو تضعف وإنما دافعو حتى الثمالة)[٥٥]وبطبيعة الحال في العداء بين الخصوم يتم انتزاع محاسن الخصم واعارته صفات دنيئة قد تكون تارة نتيجة الحقد أو لكسب الرأي العام ولكن في أبيات هذه القصيدة ينتزع المفضل للحارث الوضاح أروع التشبيه وهو ينافي ما اعتاده في أفق التوقع المتوقع ويحيل المتلقي إلى أفق غير متوقع في أن يشبه العدو بأنه من اجود السيوف وهو الدلوق[٥٦], كما مبين مسطوراً في هذه الأبيات :

قَتَلنا الحارِثَ الوَضّاحَ مِنهُم فَخَرَّ كَأَنَّ لِمَتَهُ العُذوقُ

تَعاوَرَهُ رِماحُ بَنِي لكَيْزٍ فخَرَّ كأَنَّهُ سَيْفٌ دَلوق [٥٧]

وأختار تشبيه آخر هو أن هذا البطل كعرجون نخل فيه شماريخ ولكن في مقابل هذا ومن باب شجاعة الخصم في أخذ الثأر فأن قوم الحارث لم يكن أن يقرر لهم قرار حتى كان رد الفعل عنيفاً حين اخذوا به من قبيلة الشاعر غلاماً كبيراً زاكياً))[٥٨]، وهذا ما أفصح عنه الشاعر في قوله :

وقد قتلوا به غلاماً كريماً لم تأشبه العروقُ [٥٩]

من الطبيعي المعرفة المسبقة ان الرجل في العصر الجاهلي ذو انفة وحياء وغالباً ما يحاول لممت جراحة ولا يبدي مشاعر الحزن وخوف ان يُعاب عليها ولكن هذا الشاعر يجتاز ذلك الامر واضعاً ايانا امام مشهد حزين يتمثل ببكاء النساء من كلا الطرفين :

فأبكينا نساءهم وابكوا نساء سيوغ لهن ريق [٦٠]

وفي هذا خالف المفضل الأفق المتوقع محققاً مرتبة من مراتب الانصاف حتى في بكاء النساء بين قومه وعدوهم في إشارة منه في أنه ((بكت نساؤنا على ما اصابنا وبكت نساؤهم علي ما اصابهم فهن لا يرقاً لهن دمع ولا سيوغ لهن ريق اذا سمعت النائحات رددن عليهن, فقد جفت حلوقهن وبحت اصواتهن من النواح والنحيت))[٦١] والامر لا يختص في ان يكون الانصاف في اقتراب مراتب البكاء بين النساء من الطرفين بل ان المعنى لا يخلو من إشارة أخرى يمكن ان تتكشف من القراءة الدقيقة للنص وهي ما أشار اليها الدارس ثابت محمد صغير في رسالته المنصفات في الشعر لجاهلي يبين انه من الممكن ان عدد القتلى كان بذات العدد اذ يقول ((كان القتلى من الفريقين المحاربين وكان كفتيهما متساويتان))[٦٢].وبعد هذا الإبحار في قصيدة المُفَضَّل النُكْرِيّ وجد الباحث أن هذه القصيدة شأنها شأن الكثير من القصائد الثرية والتي لوجدت قراءة جيدة خصبة في أماكنها ان تمول من النص الكثير من الثيمات التي تغني مخيلة المتلقي مانحة إياه جمالية التلقي والتلذذ به وبدئت هذه الأبيات غنية وفيها ((علائق تدفع بالنص إلى العمل بتجاور دلالي منضبط لغرض توحيدها في صورة شعرية خصبة من شأنها كسر حدود التوقع فلا تعد صورة شعرية بهذا الثرى ما لم تعتمد كسر التوقع))[٦٣].

الخاتمة :

بعد دراسة حثيثة في التقصي والتتبع في منصفة المُفَضَّل النُكْرِيّ تبينَ أن أفق التوقع المتوقع في القصيدة جاءَ بنسبة (٦٢٪) من بعض ابيات القصيدة وجاء في القصيدة متوافقاً مع الحيثيات التي كانْ المتلقي مستبصراً مدركاً بتوقعات حضورها وانسجاماً مع أعمال أخرى سابقةٌ منسوجةٌ بذات المنوال وبذات السياق عمد الباحث الى دراستها كونها لم تدرس دراسة منفردة ولم يسلط الضوء على تحليلها وبيان القيم الجمالية في تلك النصوص أما أفق التوقع غير المتوقع جاء بنسبة (٣٨٪) من أبيات القصيدة في مغايرةً واضحةٌ لما كان المتلقي ينتظره وبذلك حدثت خيبة انتظار لدى القارئ وجعلته يرسم أفقٌ جديداً للنص مغايراً لما كان متوقعه.

الهوامش

(١)ينظر المنصفات : ٧.

(٢)الاصمعيات : ١٤٠.

(٣) الاصمعيات : ١٤٠.

(٤) المنصفات :١٣.

(٥)ينظر القصائد المنصفات في الشعر الجاهلي في ميزان النقد البلاغي قصيدة المفضل النكري نموذجا اعداد وليد السيد مصطفى فرج مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الاسلامية والعربية لبنان فرع جامعة الازهري المنصورة ، مجلة دولية كلية اللغة العربية باشيان البارود مجلد ٤، عدد/٣٢ : ٣٨٣١

(٦)القصائد المنصفات في الشعر العربي في ميزان النقد البلاغي : ٣٨٣

(٧)المنصفات : ٧

(٨)جمالية التلقي والتأثير في شعر الحوليات : ٣٦

(٩) الاصمعيات : ١٤١.

(١٠) الشعر والشعراء :٢٧ .

(١١) ينظر المنصفات :١٣ .

(١٢) الاصمعيات : ١٤١.

(١٣) المنصفات :١٣.

(١٤) الاصمعيات : ١٤١.

(١٥) ينظر المنصفات : ١٣.

(١٦) قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر ، الدكتورة عائشة بنت الشاطى ، دار المعارف ، القاهرة ، ج.م.٤ ، الطبعة الثانية :٢٧.

(١٧) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر :٢٧.

(١٨) ينظر : ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : د. عمر عبدالرسول ، الناشر دار المعارف – القاهرة ، ج.م.ع : ٦٢.

(١٩) المصدر نفسه : ٦٢.

(٢٠) ينظر : الأداء الموضوعي والفني في شعر نهشل بن حرى ، عبداللطيف شنشول دكمان ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٥م :١٠٢.

(٢١) ينظر المنصفات : ١٥.

(٢٢) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٢٣) نهج البلاغة : ٤٤/١.

(٢٤) المصدر نفسه : الصفحة نفسها.

(٢٥)عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس ، طبقات فحول الشعراء : م١٥٢/١، ويقال ان ((شداد جده ابو أبيه غلب على اسم أبيه فنسب اليه وانما عنترة بن عمرو بن شداد)) ، الشعر والشعراء : ٢٥٠/١.

(٢٦)شرح ديوان عنترة : ١٨٠.

(٢٧) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(٢٨) المنصفات : ١٦.

(٢٩)الاصمعيات : ١٤٢.

(٣٠)المنصفات في الشعر الجاهلي دراسة و نقداً : ٤٠٠.

(٣١)الاصمعيات : ١٤٢.

(٣٢)القصائد المنصفات في الشعر الجاهلي في ميزان النقد البلاغي : ٣٨٥٨.

(٣٣)المنصفات : ١٧.

(٣٤) ينظر المنصفات : ١٨.

(٣٥)الاصمعيات : ١٤٢.

(٣٦)المصدر نفسه الصفحة نفسها .

(٣٧)المنصفات : ١٩.

(٣٨)الاصمعيات : ١٤٣.

(٣٩) القصائد المنصفات في الشعر الجاهلي في ميزان النقد البلاغي : ٣٨٦٨.

(٤٠)المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام ، تأليف مقبول علي بشير النعمة ، ١٩٩٧ :٢١.

(٤١) القصائد المنصفات في ميزان النقد البلاغي :٣٨٦٨.

([٤٢])الاصمعيات : ١٤٣.

([٤٣])المنصفات :١٧ .

([٤٤]) ينظر المنصفات : ٢١ .

([٤٥]) الاصمعيات : ١٤٣.

([٤٦])الاصمعيات : ١٤٣.

([٤٧]) ينظر المنصفات :

([٤٨]) الاصمعيات : ١٤٣.

([٤٩]) ينظر المنصفات :

([٥٠]) الاصمعيات : ١٤٢.

([٥١]) المنصفات : ٢٢.

([٥٢]) قراءة ثانية لشعرنا القديم :١٠٨ .

([٥٣]) مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة قصيدة الحرب – قصائد الحرب ، محمد الغزي ، دار الشؤون الثقافة العامة ، وزارة الثقافة والاعلام – بغداد ، ١٩٨٧ :٢٢

([٥٤])الاصمعيات : ١٤٢.

([٥٥])المنصفات في الشعر الجاهلي : ٤٠١.

([٥٦])ينظر المنصفات : ٢٤.

([٥٧])الاصمعيات : ١٤٤.

([٥٨])المنصفات في الشعر الجاهلي: ٤٠٦

([٥٩])الاصمعيات : ١٤٤.

([٦٠])الاصمعيات : ١٤٣.

([٦١]) المنصفات :٢٣ .

([٦٢]) المنصفات في الشعر الجاهلي :٤٠٢ .

([٦٣]) تجليات النص مسارات تأملية في سؤال الذات : ٢٦ .

المصادر والمراجع :

١) الأداء الموضوعي والفني في شعر نهشل بن حرى , عبداللطيف شنشول دكمان , تموز للطباعة والنشر والتوزيع , ٢٠١٥م .

٢) الاصمعيات , اعداد ابي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي المتوفي ٢١٦هـ , شرح وتحقيق مجيد طراد , دار الفكر العربي بيروت لبنان ٢٠٠٣

٣) الأعلام , خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ), الناشر: دار العلم للملايين , الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

٤) الشعر والشعراء لأبن قتيبة , تحقيق وشرح احمد محمد شاكر , دار المعارف , القاهرة , ج.م.ع .

٥) القصائد المنصفات في الشعر الجاهلي في ميزان النقد البلاغي قصيدة المفضل النكري نموذجا اعداد وليد السيد مصطفى فرج مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الاسلامية والعربية لبنان فرع جامعة الازهري المنصورة , مجلة دولية كلية اللغة العربية باشيان البارود.

٦) المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام ، تأليف مقبول علي بشير النعمة ، ١٩٩٧م.

٧) المنصفات , جمعها وحققها عبد المعين الملوحي , وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي , أحياء التراث القديم , مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي – دمشق , ١٩٦٧ : المقدمة (ث).

٨) المنصفات في الشعر الجاهلي , دراسة ونقداً , اعداد الطالب ثابت محمد صغير مقبل , اشراف الأستاذ الدكتور فتحي محمد ابو عيسى , رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الادب , المملكة العربية السعودية , جامعة ام القرى , فرع الادب , ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٩) تجليات النص مسارات تأملية في سؤال الذات , ماجد الحسن , دار مكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , لبنان , ط١ , ٢٠١٤م .

١٠) جمالية التلقي والتأثير في شعر الحوليات , أ.د. خالد علي مصطفى , الجامعة المستنصرية , كلية الآداب , م. ربى عبدالرضا عبدالرزاق , جامعة ديالى , كلية التربية للعلوم الانسانية , رسالة دكتوراه , ٢٠١٦م .

١١) ديوان أبو نواس برواية الصولي ، تحقيق بهجت عبدالغفور الحديثي ، دار الكتب الوطنية ، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث – ابو ظبي – الامارات العربية المتحدة ، ط١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠٢٠م .

١٢) قراءة ثانية لشعرنا القديم , د. مصطفى ناصف , دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت – لبنان .

١٣) قيم جديدة للادب العربي القديم والمعاصر , الدكتورة عائشة بنت الشاطى , دار المعارف , القاهرة , ج.م.٤ , الطبعة الثانية.

١٤) مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة , النقد الموضوعاتي وقصيدة الحرب (الصوت والعين والوجه) , نموذج ياسين طه حافظ , د. سعيد علوش , دار الشؤون الثقافية العامة بغداد , ط١ , ١٩٨٧م.

١٥) نهج البلاغة وهو ما جمعه السيد الشريف الرضى من خطب ووصايا وكتب وكلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام , شرح الشيخ محمد عبدة طرح مصادره , فاتن محمد خليل اللبون , دار احياء التراث العربي , للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت لبنان .